ملاحظات

عندما استيقظت الرائحة في انف دنى غالي

نزار عبد الستار

(قل لي ما الذي تبقى هناك ويمكنك ان تطلق عليه وطنا؟)
هكذا جاء السؤال الذي اطلقته مروى البصري بوجه رضا المولاني في الصفحة رقم ٢٣٠ من رواية دنى غالي (عندما تستيقظ الرائحة) ، أي قبل ثلاث صفحات من كلمة (انتهت) التقليدية التي ختمت بها دنى روايتها .

الروايات الجيدة هي التي تكتب نفسها، بمعنى ان الفن الروائي يتجسد باسمى اشكاله عندما يعثر الكاتب على مادة جيدة يمكن ان تنسخها الكتابة رواية. ويبدو، من هذه الرواية ذات الغلاف الاحمر، ان دنى وقعت في مشكلة من هذا النوع ؛ فقد اختارت مادة يصعب على العراقيين عموما التعامل معها او فهمها اذا وجدوا ان لاحد يلقنهم الافكار ولا يخط لهم اسطر الورقة البيضاء حتى يكتبوا عليها . ان قضية الخيبة في مسألة جذرية تتعلق بالوطن يصعب التعامل معها وهي قطعا تشكل الان عقدة كبيرة لعشرات الروائيين والقصاصين العراقيين فضلا عن انها مخاطرة غير مضمونة؛ فالكاتب العراقي، ومنذ عقود طويلة، وهو يكتب عن الوطن باملاءات حزبية وفكرية ولم يعتد ان يكتب عن حقيقة علاقته بالوطن او ان يجيب على سؤال : اتحب العراق ام تكرهه؟.

دنى غالي ليست بريئة تماما فهي تشير الى صراع سياسي تقليدي ولكنها اعتنت اكثر بفوضى من المشاعر حول الحرب والحب والموت والحرية والخسارات الانسانية في ظل الانسحاق الذي يخلقه النظام السياسي المستبد الذي يحول دون حياة طبيعية ويؤدي ليس فقط الى خسارة الانسان وانما الى خسارة الوطن . طرحت دنى هذه الثيمة من خلال حيوات ثلاث شخصيات بصرية : مروى البصري ونهلة صباح ورضا المولاني وهي شخصيات كانت على صلة مع بعضها في العراق وهاجرت الى الدنمارك حيث وزعت دنى اصواتهم على ثلاثة فصول من الرواية وفضلت ان تبدأ بصوت المحللة النفسانية الدنماركية التي كلفت من قبل بلدية كوبنهاجن بدراسة ملفاتهم. ومن خلال الجلسات التي تقيمها المحللة لمروى ورضا تتكشف خيوط علاقات متشابكة بين مروى ونهلة من جهة، ورضا، الهدف المشترك للفتاتين كما تظهر شخصيات ثانوية كنرجس الاخت غير الشقيقة لمروى و الاخ الرسام الذي اعدمه النظام وطلب من عائلته ثمن الطلقات التي قتلته.

الرسامة مروى البصري تاخذ المساحة الاكبر من الرواية فهي من عائلة تضررت كثيرا من النظام وتعرضت للتهجير وعاشت مرارة التمزق الاسري في ظل الاضطهاد وهي لم تستطع التخلص من ثقل الماضي ولم تتمكن من الاندماج مع العالم الجديد على عكس صديقتها نهلة التي فازت اخيرا برضا وهاجرت معه الى الدنمارك ووجدت حياتها الجديدة في اوربا وغيرت اسمها وجعلته هيلينا سابا . مروى البصري تقول عن وطنها للمحللة الدنماركية : (وماذا افعل بذلك الوطن .. اود وصفه، رسمه،اعادة تشكيله، نحته لاتخلص من مرارته، من حنقي عليه وازدرائي له) .

قضية مروى تقترب من قضية رضا الذي يعثر على مروى بعد معاشرته عدداً من النساء وانفصاله عن نهلة واغتصابه المحللة النفسانية الدنماركية ولكنهما يختلفان في تحديد بداية جديدة فمروى لم تصل بعد مع احزانها الى مصالحة ما وهي لا تملك وجودا في المجتمعين العراقي والدنماركي . اما رضا المتفرد كجمال يوسف النبي فهو يرفض الاندماج في المجتمع الدنماركي

دنى غالي

ويفكر بالعودة الا ان مروى البصري تصدمه باسئلة متتالية : (تظن بأنك ستعود، انت نفسك ؟) (هل تظن بأن لك مكانا هناك؟ (هم لا ينظرون لك كما تنظر انت لنفسك وتضحيتك).

الرواية العراقية في نماذج عدة، ومنها عندما تستيقظ الرائحة تعاني من ترهل في المشاعر دون القدرة على ضبط ذلك بطريقة فنية والسبب هو تشابك القصة القصيرة مع الرواية وعدم قدرة الكاتب على التفريق بين المهارتين، ودنى، مثل عدد من الكتاب، تعدد اللقطات في المقطع الواحد وتعتمد الروي بمستويين وتأخذ بتجميع روايتها بطريقة الرص الفسيفسائي وهو تكنيك قصصي بالدرجة الاساس اسيء نقله واستعماله وشاع في الستينيات كطريقة للدمج بين الاسلوب التقليدي وتيار الوعي وهذا التطعيم يعطي للكاتب امكانية الاقتراب من الشعر والبوح بمشاعره بنزعة غنائية تغرقه في الرؤية الذاتية التي هي متعة لها قيمتها عند البعض من الذين يجعلون من الكتابة ابرة تلامس بالونة قيح القلب . ودنى واحدة منهم الا ان شخصياتها في عندما تستيقظ الرائحة ليست من النموذج المثقف الثائر والمتعالي الذي تطرحه الروايات العراقية المؤدلجة بل هي شخصيات مريضة نفسيا و تعاني من الانسحاق العراقي العام وهي تغادر مكانها لعدم شعورها بالانتماء وعدم قدرتها على التواصل وتفشل في العثور حتى في مجتمع متقدم كالدنمارك على بديل مفترض للوطن ونجد الرواية تنتهي عند نقطة بداية لكارثة اكبر بكثير من كارثة حرب الخليج الاولى فآخر كلمة في الرواية هي آب في اشارة الى ضياع حقيقي للوطن وضياع مؤكد للانسان .

ان جديد دنى هو انها ليست كغيرها من الكتاب الذين يحصلون على الاهتمام مقابل البوح ببعض الاسرار المتعلقة بالميل الجنسي، فهي نجحت في خلق الاحساس المتوازي ويمكن توضيح هذا بالقول ان في هكذا نوع من الروايات يمكن للقارئ الاختلاف مع الكتاب في طريقة تكوين وجهات النظر او في الحدث التاريخي وطريقة تفسيره والتعليق عليه وايضا في عرض الافكار . رواية دنى لا تجعل القاريء يختلف معها لانها نجحت في ان توصله باحساسها الى درجة من انعدام الحس وهو تطابق له اهميته وخاصة بالنسبة للقارئ العراقي فرواية دنى شبيهة بالوطن، تحمل حزنا واسع الطيف وتستمد كينونتها من كونها صادمة .

اخطاء هذه الرواية هي من الاخطاء الشائعة في الادب العراقي ولكنها تعطي اشارة قوية لتوقعات متفائلة تخص مسألة القدرة على الخروج من دائرة النمطية الى كتابة تنبع من احساس عميق بالحرية وهذا تناقض غريب يندر ان يتوفر في عمل يشتغل على المأساة العراقية ولكن دنى فعلتها بطريقة ذكية حين رفعت من الهم الانثوي ليتحول الى سؤال يخص مصير الوطن .

ان الادب العراقي يحتاج الان الى اسئلة تحفر الاشتغال الادبي على الوصول الى نضج جديد ونجاحات ادبية لها ثقلها والرواية هي الجنس الادبي الوحيد المؤهل لفعل هذا كونها قادرة على اعطاء قراءات متعددة لصورة واحدة ويمكن لها فرض الحقيقة وازاحة التزوير .

من المؤكد ان رواية رائعة مثل (ليلة لشبونة) تجعلنا نشعر بالغيرة وتدفعنا قطعا الى ان نفكر بمواد عراقية لاتقل اهمية عن مهاجر ريمارك . واذا كنا من خلال ماكتبنا نحتاج الى تحصيل المعارف وصقل الموهبة من اجل الوصول الى طريقة ناجحة لكتابة الرواية الا ان هذا قد لا يأتي الا اذا استطعنا ان نمسك بالاحساس العميق بالحرية وان نتخلص تماما من المسطرة والقلم الفكري الذي يخط لنا الاسطر على الورقة البيضاء .

الكتاب : عندما تستيقظ الرائحة
المؤلفة : دنى غالي
الناشر : المدى
الطبعة الاولى : ٢٠٠٦

الفنان حسين نعمة شاعراً

عرف الجمهور العراقي والعربي ومنذ مطلع سبعينيات القرن الماضي الفنان حسين نعمة مطربا ومؤديا للكثير من الاغاني الناجحة (يا نجمة، نخل السماوة، بنادم، ياحريمة) وغيرها من الاغاني، لكن القليل من هذا الجمهور عرف حسين نعمة فناناً تشكيليا وشاعرا يكتب قصيدة النثر . (المدى) تنشر قصائد نثر من اعمال الفنان حسين نعمة الشعرية التي خص (المدى) بنشرها .

١
البحث عن نهاية

في استغفال العواطف
تمتلئ الرؤوس بخدر السراب
وبعد اتضاح الصورة
نسخر من لعبة الغش
ونرضخ لدجل اللعبة .. بلا اكتراث
يتكرر المشهد ..
وبنفس السذاجة .. وفوات الاوان
نتصاع لسراب العواطف
بحجة استثمار التجارب
لنعرف الى اين نحن ماضون

٢
(انكسار)

مكره حين اهشم عقارب زمني
واسلفن وقتي
بذريعة الوهم .. ان للشمس مخاض
مكره بقراري الساذج هذا ..
ان للصبر جذورا
تمتد لقاع الصخر .. في اطلال (اور)الساحلية
استبيح اوهامي عذرا
حين اجحد بنقاء الطارئين
ارتضي اخفاء ضعفي .. بستار من زجاج
اتمادى ..
اتورى ..
ثم ما البث ان الملم اشلاء زجاجي
وارحل مهزوما
كخيبة الجنود المكسورين
في الحروب غير المتكافئة

من أدب الرحلات

قرد هنومان

معبد هندوسي في الهند

كريم محمد

في طريقي إلى حديقة هنومان لا بد لي من المرور في أمكنة ليس بوسع اى إنسان أن يتجاوزها دون أن يخوض في هذا المهرجان الكبير الدائم والساحة المكتظة بكل الباعة المتجولين وأصحاب النزعات المختلفة بطريقة البيع . لكن لا شيء يهين البصر في هذا المكان . وقبل أن يبدأ التطبيق في شن الحملة المشتركة للشمس والأمطار الموسمية . قرب حديقة (هنومان اله القردة) ألح علي بائع القردة والذي يبدو عليه البارع في لعبة اقناع الآخرين ونسج الحكايات الكثيرة حول ماهية قرده البائس الذي كان يغريني بشرائه واقناعى بان له مهارات عديدة، وغيرة جامحة للإناث وانه ينتمي أيضا إلى سلالة نبيلة ولاننى اجنبى وقد رأى تلك النظرة الطافحة بالتهور في عيني فاشتد إلحاحه واخذ يصيح خذه أيها السيد إلا ترى انه إميل للشبة إليك انه ينفعك وقد يكون جدك في نشوء (دارون) وهنا يبدو عليه انه يحفظ عن ظهر قلب تلك العبارات ويرددها على مسمع الأجانب فقط، واعتقد انه وجد ضالته وعاود مرة أخرى ..

أيها السيد، انه آخر الطاهرين عند (هنومان)، إلا ترى؟ هو ذا البائس الذي خرج به (كافكا) إلى الدنيا في تقرير الأكاديمية، وهنا وجدتني مندفعا إلى شرائه، رغم أنى لا أحبذ (دارون) ونظريته المعتوهة لكنى أردت إن اعرف ما سر العلاقة بين الموز، والقردة وما هو (هنومان) اله القردة وسر الاعتقاد عند الأتباع الذين يحومون حول تمثاله الضخم والمبالغ في زخرفته في باحة الأعمدة المطلة على أشجار الموز وأوراقها الكبيرة التي هي ضمن الاعتقادات الدينية التي كانت (أول الملابس لأدم وحواء وأول شجرة ازدهرت في جنان عدن). كل هذه الإرشادات المستمرة في الدين والأساطير وحتى النحت البوذي والقوانين للأديرة البوذية التي تتحدث عن مشروب (موشاباذا) المصنوع من الموز والشكل الخماسي لهذه الشجرة التي تعد مقدسة والتي تشبه إلى حد ما شكل الآلهة الهندوسية (كالي)، أما (هنومان) واعتقاد إتباعه بأنه نذير خير فى اداء الطقوس، طقوس الزواج تحت شجرة الموز وممارسة طقس آخر للزوجين الجديدين في أوائل منتصف الليل، والدعوة الصريحة من (هنومان) وتعاليمه التي تنص على ممارسة الضرورة السرية تحت الشجرة المقدسة، وبينما أجوب المكان، والتعرجات وسط أشجار الموز حاملا قردي العابس الذي اخذ بالنظر في يدي واستغرابه منى حتى أنى حدقت في عينية لاتبين الشبه الذي زعمه البائع بيني وبين هذا الكائن الذي اخذ يسخر منى وكأنه يقول : بكم اشتريتني .. ومن هو هذا (دارون) والإله (هنومان) أحقا لي اله بعد المسخ الأول؟ كل هذا الاعتقاد الذي كان يدور في ذهن هذا المخلوق الذي هو اقرب إلي، حملته بعيدا خارجا به إلى فضاءات رحبة متفحصا حقيبتي وما علي القيام به في جولة أخرى أتمنى أن تكون اغرب من هذه الجولة لكن بدون باعة وقردة والهة قردة .الآن أنا مهيأ لأن اركب مركبا لينساب إلى نهر (نارمادا) المقدس وشكله الثعلبانى.